دراسة لمشغولات فنية من موقع الأخدود بنجران

حميد بن ابراهيم المزروع

ملخّص: يدرس هذا البحث ثلاث مشغولات فنية (لم تنشر من قبل)، من موقع الأخدود الأثري في نجران. تجسد هذه المشغولات أشكالاً آدمية، اثنين منها مصنوعان من البرونز، والثالث من الحجر الجيري. وتركز الدراسة على تحليل المظاهر الأسلوبية لهذه الأعمال الفنية، كما تحاول الوصول إلى بعض النتائج الأولية المتصلة ببعض المفاهيم والدلالات الحضارية، التي قد تعكسها هذه الأعمال المتميزة. إضافة إلى الفترة الزمنية التي قد تنتمي إليها.

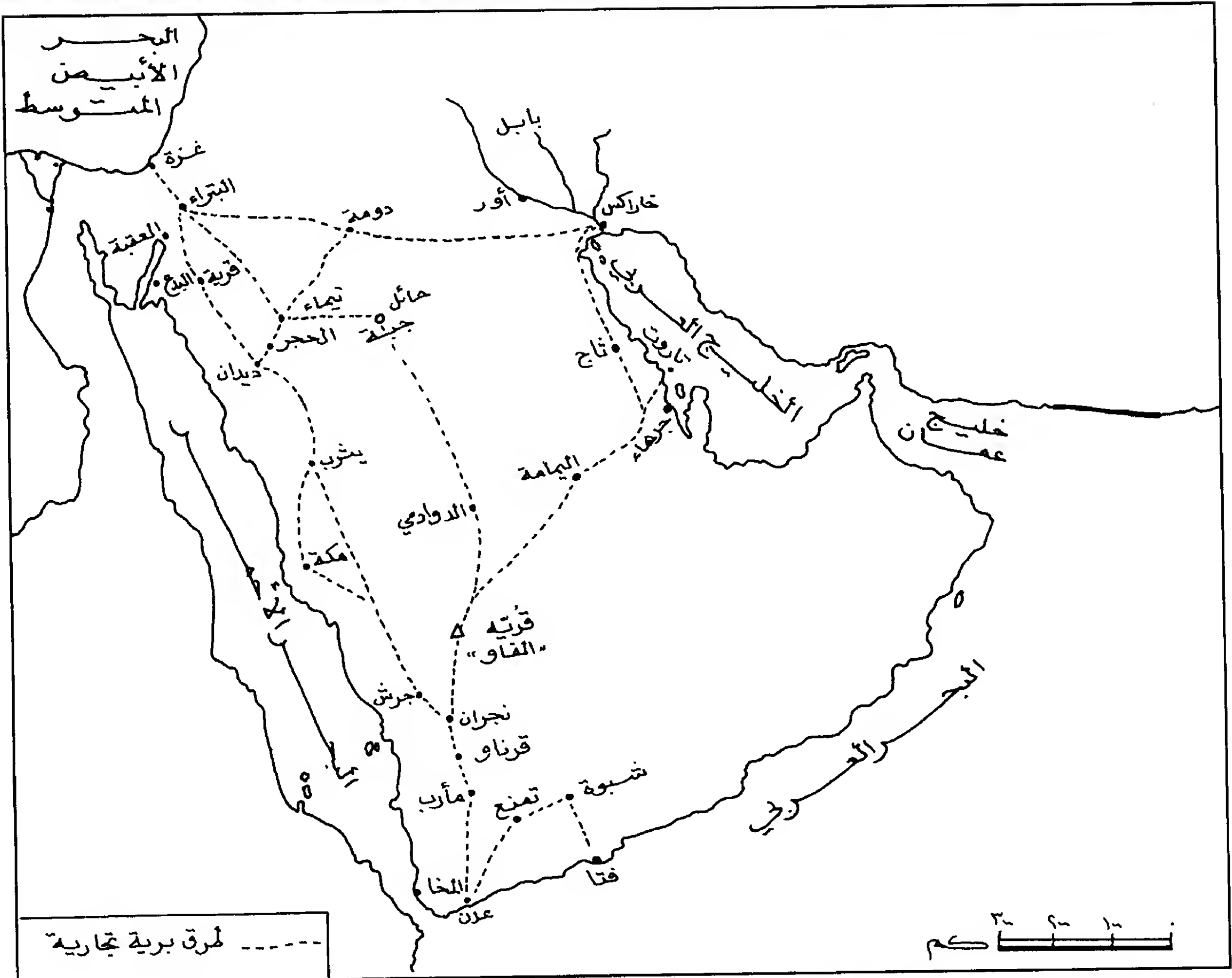
Abstract: *This study addresses three sculptural objects discovered in the archaeological site of al-Ukhdud in Najran. All three objects depict human figures; one of the three is made of limestone, and the other two of bronze. While concentrating on the analysis of the objects' stylistic features, the study also seeks certain preliminary conclusions pertaining to their date and cultural significance.*

يُعد موقع الأخدود، الذي يقع إلى الجنوب من وادي نجران، من المواقع الأثرية المهمة التي شهدت استيطاناً حضارياً مبكراً، وتعود أهمية هذا الموقع، عبر التاريخ القديم للجزيرة العربية، لعدة أسباب حيوية، لعل أبرزها: كونه يقع في وادي نجران حيث التربة الخصبة، والنشاط الزراعي، كما اكتسب أهمية اقتصادية متزايدة حيث أصبح محطة تجارية، على الطريق التجاري القديم (Groom 1981: 187-188)، الذي يربط الممالك العربية القديمة في اليمن السعيد، وتلك التي ظهرت في وسط وشمال الجزيرة العربية (خارطة ١).

ورد ذكر نجران في العديد من كتب الرحالة والمؤرخين، التي لايتسع المجال لذكرها (زارينس وآخرون ١٤٠١)، إلا أن آخر الدراسات الأثرية (زارينس وآخرون ١٤٠٣)، تشير إلى أن موقع نجران الأثري يتكون من مساحة شبه مستطيلة، تبلغ حوالي ٢٣٥ متراً مربعاً، ويحتوي على العديد من المعالم الأثرية، منها المنشآت المعمارية، وكذلك الأسوار المرتفعة، كما يشتمل الموقع على مجموعة من أنظمة الري القديمة، منها سد للتحكم بمياه الأمطار والسيول، يقع في أقصى الطرف الجنوبي للموقع، إلى جانب مجموعة من الآبار. كما كشفت هذه الدراسات نفسها، عن أنماط الفخار المستخدم، ومن ناحية أخرى، توصلت هذه الدراسات إلى تحديد الفترة الزمنية، التي شغلها الموقع، وقد امتدت بناء على نتائج تحليل الكربون المشع، من ٥٣٥ ق.م - ٢٣٥م، وهي فترة تزيد عن سبعة قرون.

لاشك أن موقعاً بهذا الحجم والعمق الحضاري، جدير بأن يكشف عن مشغولات فنية في غاية الأهمية، منها ماهو محل هذه الدراسة (١)، وأخرى ربما مازال كامنة تنتظر الاكتشاف والدراسة. وتشتمل مادة الدراسة لهذا البحث على الآتي:

١- تمثال صغير من الحجر الجيري، مسجل لدى وكالة الآثار والمتاحف تحت رقم ١٨٣٣، ويبلغ ارتفاعه ١٠سم وعرضه ٤ سم، يمثل امرأة واقفة (لوحة ١)، الجزء الأسفل من التمثال مفقود، والأيدي مسدولة على



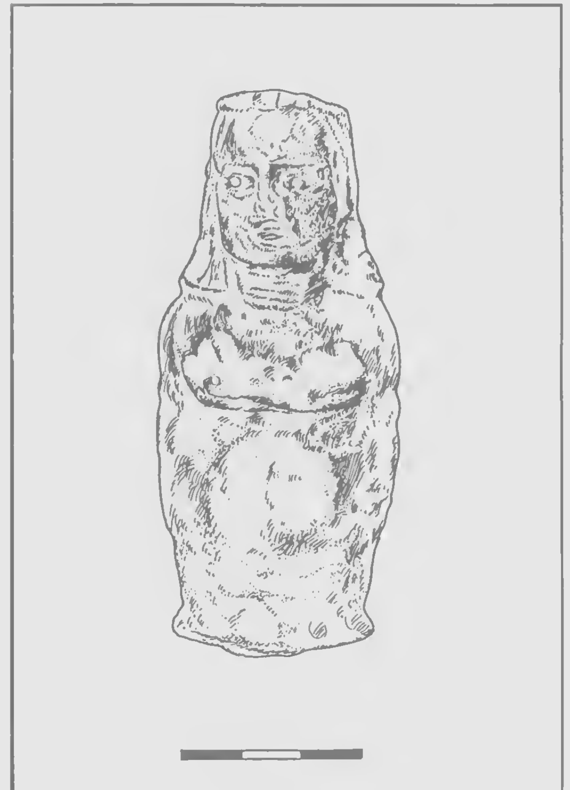
خارطة ١ : موقع نجران - الأخدود ، والطرق التجارية القديمة.

الجنبين موازية للجسم. وقد حرص الفنان على تفاصيل الرأس والوجه، حيث جسد الشعر على نحو قصير مسدول على الكتفين، ويبدو أن تفاصيل الشعر كانت مزينة بخطوط سوداء، تسير باتجاه الخطوط المحززة ، التي تمثل اتجاه تسريحة الشعر. أما تفاصيل الوجه، فتعكس بوضوح ملامح امرأة عربية، خاصة طريقة تصميم الأنف، الذي يلتقي مع الجبهة بشكل شبه مستقيم. أما العينان فصممتا وهما مفتوحتان، تنظران إلى الأمام ولهما شكل لوزي. ويتضح أن هذه المرأة تتقلد عقداً على الرقبة، حيث يوجد عليها ثلاثة حزوز متوازية. أما الرداء، وعلى الرغم من فقدان جزء التمثال السفلي الذي يمثل الأرجل، فيبدو كأنه رداء طويل ربما يصل الى القدمين، له أردان قصيرة ، كما يظهر الحزام، الذي تتمنطق به المرأة في وسطها (شكل : ١).

وتشير الخصائص الأسلوبية لهذا التمثال ، إلى تحرر الفنان في نجران من تأثير المدارس الفنية التقليدية في الجنوب، التي تتميز بإنتاج تماثيل آدمية شكلها الخارجي شبه عامودي، يخضع أسلوب صناعتها -غالباً- إلى اتباع التصميم التخطيطي (Linear design). كما أنها من الناحية الأخرى، تكون مشطوفة الرأس في معظم الأحيان، في حين تصمم الأيدي وهي ممدودة الى الأمام (Pirenne 1977 : 357) . أما التمثال موضوع الدراسة، فينسجم في خطوطه الفنية العامة، مع المدارس الفنية الشمالية ، وكذلك تلك التي ظهرت في وسط الجزيرة العربية، وعلى وجه



لوحة ١ : تمثال من الحجر الجيري لامرأة واقفة.



شكل ١ : تفريغ لوحة (١).

التحديد قرية الفاو . خاصة فيما يتصل بالجوانب الفنية الآتية : نزعة الفنان إلى إنتاج أعمال فنية تميل إلى الواقعية . وضع الأيدي . وأخيراً طريقة تصفيف الشعر . ويذكر أسلوب صناعة هذا التمثال . وكذلك الشخصية المجسدة فيه. بتمثال امرأة ذات مكانة دينية أو اجتماعية عثر عليه في إحدى مقابر قرية الفاو (AL-Mazroo 1990). حيث يتطابق التمثالان في معظم الملامح الفنية. وكذلك التفاصيل. مثل أدوات الحلي والزينة والشعر . وكذلك نوعية الخامة الحجرية المستخدمة. ولعل الاختلاف يكمن في عدم ظهور الحزام ،الذي يتوسط الخصر على تمثال قرية الفاو.

كما يمكن أن يقارن التمثال محل الدراسة. مع تمثال آخر لامرأة واقفة عثر عليه في موقع يعرف باسم الضالع في اليمن (Pirenne 1986 : II.299-II.302). اذ يعكس الأخير أوجهاً فنية متطابقة مع تمثال نجران. ويظهر الاختلاف بينهما فقط في وضع الأيدي. حيث صممت في تمثال الضالع وهي ممدودة إلى الأمام. حسب الوضع التقليدي للتماثيل الجنوبية. في حين تظهر الأيدي لتمثال نجران وهي مسدولة على الجنبين. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الباحثة جاكلين بيرين . قد أرخت لتمثال في موقع الضالع بالقرون الأول الميلادية (Pirenne 1986 : II.299-II.302). ولاشك أن التمثال محل الدراسة. وتمثالا الفاو والضالع المشار اليهما في المقارنة. تنتمي كلها إلى المدرسة الفنية نفسها. الشمالية التوجه . وأن التباين الثانوي الظاهر عليها. المتمثل في كيفية وضع الأيدي واختفاء الحزام. إنما هو ناتج عن اختلاف الورش الفنية. التي أنتجت هذه الأعمال الفنية. مما سبق يمكن القول أن هذا التمثال ربما يؤرخ إلى القرنين الأول والثاني الميلاديين.

٢- تمثال نصفي لامرأة. مسجل لدى وكالة الآثار والمتاحف تحت رقم ١٨٣٦. ويبلغ ارتفاعه ٣.٥ سم (لوحة : ٢). مصنوع من البرونز. صمم على الهيئة

الموضحة في (اللوحة : شكل: ٢). اليد اليمنى للتمثال مرفوعة إلى الأعلى، في حين تظهر اليد اليسرى، غير المكتملة، مضمومة إلى الجسم أسفل الصدر البارز المعالم . وقد حرص الفنان على الرأس ، خاصة تسريحة الشعر المنسدل على الجبهة، على شكل حزوز شبه مستقيمة. ويظهر على وسط الرأس مايبدو شريطاً لتزيين الشعر. أما الوجه، فعلى الرغم من عدم وضوح ملامحه، فمن المؤكد أنه يعكس ملامح أنثوية، لامرأة لها أنف صغير، ووجه شبه دائري (شكل : ٢).

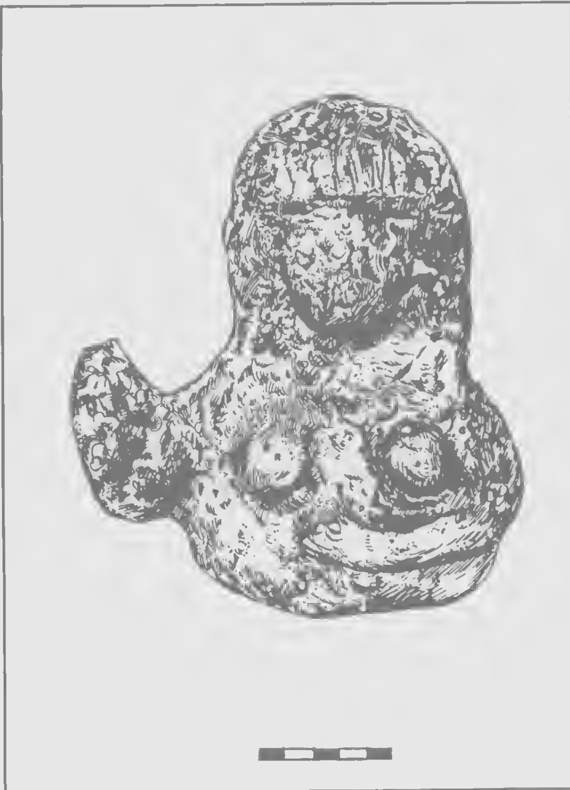
وتنسجم الملامح الأسلوبية لهذا العمل الفني، وعلى وجه التحديد كيفية وضع الأيدي، مع العديد من الأعمال الفنية العربية الجنوبية، التي منها ما اكتشف في مقبرة تمنع (Cleveland 1951: 49,51)، وأخر في مواقع سبئية مختلفة في مأرب (Pirenne 1977 : I.441-I.449). ويتضح من كثافة تكرار ظهور كيفية هذا الوضع في الفنون العربية الجنوبية، بأنها أصبحت، من ناحية، سمة أسلوبية متأصلة تميز المدارس الفنية الجنوبية . ومن ناحية أخرى، تجسد شخصية تعبدية، غالباً ما تظهر في الفنون الجنوبية، وهي تحمل رموزاً لها مدلولات دينية، مثل حزمة القمح في اليد اليسرى.

أما من الناحية التقنية ، فيعد هذا التمثال متطوراً نسبياً ، إذا تجاهلنا الطريقة البدائية التي صممت بها اليد اليسرى. ويبدو أن الفنان قد استخدم طريقة الشمع المذاب بعد تجهيز القالب ، الذي يتضح من طبيعة الشكل شبه الدائري للجذع من الأسفل، أنه كان قالباً مقفولاً، ومستدير الشكل.

٣- تمثال برونزي ، مسجل لدى وكالة الآثار والمتاحف تحت رقم ١٨٣١. وتبلغ أطواله ٨ سم طولاً و ٥ سم عرضاً ، و ٠.٦ سم سماكة . يمثل هذا التمثال شكل امرأة واقفة بصورة مائلة (لوحة : ٣). ترتدي عباءة



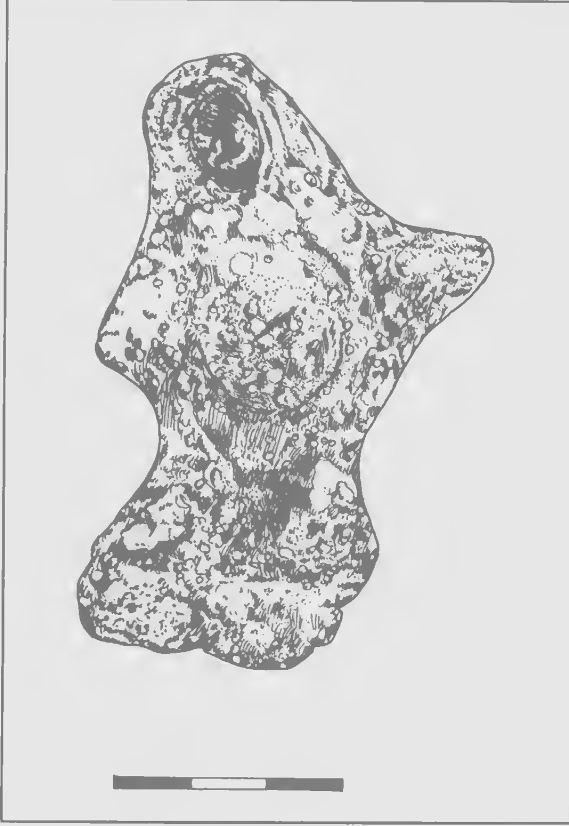
لوحة ٢ : تمثال نصفي من البرونز لامرأة.



شكل ٢ : تفريغ لوحة (٢).



لوحة ٣ : تمثال برونزي لامرأة (بشكل مائل).



شكل ٣ : تفريغ لوحة (٣).

طويلة وفضفاضة تغطي القدمين. وتحمل المرأة مايبدو دفاً في يدها اليسرى . أما الجزء الخلفي من التمثال فمسطح، مما يشير إلى أن هذه القطعة الفنية قد أنجزت بأسلوب القالب المفتوح، ثم الصب (شكل : ٣) .

ومن الواضح أن الخطوط الفنية العامة لصناعة هذا التمثال، تختلف اختلافاً جذرياً عن أسلوب صناعة التماثيل التقليدية ،السائدة في حضارات الممالك العربية الجنوبية، فقد تميز هذا التمثال، بتحرر الفنان في تشكيل كيفية الوقفة، التي تحاكي المدارس الفنية الشمالية، من حيث المرونة والواقعية، كما نجح الفنان في هذا العمل في تصوير مشهد احتفالي.

ولاشك أن المشغولات محل الدراسة، تشكل إضافات جديدة لرصيد معرفتنا عن أساليب الفنون الصغرى في نجران، فهي تؤكد، من ناحية، أهمية الدور الاقتصادي الذي لعبه نجران كمحطة تجارية تمثل عنق الزجاجة، كما تعكس مهارة الفنان العربي في هذه المنطقة، على استيعاب تقنية الصناعات المعدنية .

وأخيراً يمكن القول أن القيمة الحضارية لهذه المشغولات، تكمن في أنها تقدم كنذور وهدايا (Votive Offering) للالهة المحلية. أما الفترة الزمنية التي تنتمي إليها، فإن أساليبها الفنية تنسجم إلى حد كبير مع أساليب الفنون الصغرى المتأخرة، في جنوب الجزيرة العربية، وكذلك في قرية الفاو، مما يجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأن هذه المشغولات، ربما تنتمي إلى الفترة الاستيطانية المتأخرة من موقع الأخدود، أي القرون الأولى الميلادية.

د. حميد بن ابراهيم المزروع : قسم الآثار والمتاحف -كلية الآداب - جامعة الملك سعود - ص.ب ٢٤٥٦ - الرياض ١١٤٥١ - المملكة العربية السعودية.

هامش :

١) يتقدم الباحث بخالص الشكر والعرفان لسعادة الأستاذ الدكتور / سعد الراشد . وكيل وزارة المعارف للآثار والمتاحف، على إتاحة الفرصة لدراسة هذه القطع الفنية المحفوظة تحت الأرقام : ١٨٣١، ١٨٣٣، ١٨٣٦ .

المراجع :

أولاً : المراجع العربية :

زارينس، يوريس وعبد الجواد مراد وخالد اليعيش ١٤٠١ هـ "التقرير المبدئي الثاني عن مسح المنطقة الجنوبية الغربية" **أطلال** ، ٥ : ٩-٢٦، إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية.

زارينس، يوريس وعبد الرحمن كباوي وعبد الجواد مراد وسيد رشاد ١٤٠٣ "تقرير مبدئي عن مسح وتنقيب نجران / الأخدود" **أطلال** ، ٧ : ٢١-٣٨ ، إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية.

ثانياً : المراجع غير العربية :

Groom. N. 1981. **Fran kincense And Myrrh**. London. Longman.

Pirenne, J. 1977. Corpus des Inscriptions ET **Antiquites** Sud-Arabes. Peeters, Louvain.

Pirenne, J. 1986. Corpus des Inscription ET **Antiquites** Sud-Arabes. Peeters, Louvain.

AL-Mazroo, H. 1990 A stylistic and Comparative Study of Unpublished Pre-Islamic Stone Sculptures from Arabia. University College, London.

Cleveland. R. 1965 **An Ancient South Arabian Necropolis**. Objects from the Second Campaign (1951) in the Timna Cemetery. Baltimore: The John Hopkins press. PLS-49, 51.